

هل التّـقارب التركيّ الباكستانيّ المتصاعد يأتي ردّاً على الغزّل السعوديّ لسورية؟

ولماذا تتزايد التّـكهنّات حول رغبة أردوغان إقامة "طوق سنّـي" لحصار السعوديّة ومحوّرها في فـنائها الشّـرقية؟ وهل مـوافقة عمران خان على وـضع فتح الخـمسة غولن وحركته على قائـمة الإرهاب وإغلاق مدارسها في باكستان الخـطوة الأولى؟

عبد الباري عطوان

بينما تنشغل المملكة العربيّة السعوديّة بمحاكمة المتّـهمين في جريمة اغتيال الصحفي جمال خاشقجي، وتعدّـر تطبيق اتّـفاق الحديدة في اليمن، استقبل "غريمها" الأبـرّز رجب طيـب أردوغان، زعيمـيّ دولتين إسلاميـتين، على درـجة كـبيرةٍ من الأهميـة، الأوّل هو السيد عمران خان، رئيس وزراء باكستان، الدولة النوويّة الوحيدة في العالم الإسلاميّ، والثاني السيد برهم صالح، رئيس العراق، الذي يتعافى بسرعةٍ ويحاول استعادة دوره العربيّ والإقليميّ.

الرئيس أردوغان الذي بات يُدرّك جيـدًا أنّ الأزمـة السوريّة تقترب من نهايتها، وأنّ التحالف السعوديّ الإماراتيّ المصريّ يُريد أن يستعيد علاقاته مع الرئيس بشار الأسد عبر بوابة الإعمار، لمُحاصرة بلاده، استبق الأمر وبات يُخطّط لمُحاصرة هذا الحلف الثلاثيّ بالتّـسلل إلى فـنائه الشّـرقية، وترسيخ وجوده في أفغانستان وباكستان، وهذا ما يُفسّر استقباله الحار لصـيفيه في أنقرة، والسيد خان على وجه الخـموص، وتوثيق العلاقات التجاريّة بين البلدين (تركيا وباكستان)، في مجال الصادرات العسكريّة خاصّةً، والإعلان عن قمّةٍ ثلاثيّةٍ تركيّةٍ باكستانيّةٍ أفغانيّةٍ في الرّبيع المُقبل في إسطنبول.

أمّا على صعيد العلاقات مع العراق، فكان لافتًا أيضًا، ومن خلال البيان المُشترك، أنّ الرّئيسين، أردوغان وصالح، اتّـفقا على وـضع استراتيجيّةٍ مُشتركةٍ بين البلدين لمُكافحة الإرهاب، الأمر الذي يعنـي أنّ العراق يُوافق بشكـلٍ مُباشـرٍ على تـجديد الاتّـفاق الذي جرى توقيعـه بين أنقرة وبغداد في زمن الرئيس العراقيّ الراحل صدام حسين، ويَقضي بالسّـماح للطائرات التركيّة

بمطارِدةِ خِلايا حِزبِ العُمّالِ الكرديّينِ والمُنظّماتِ الكرديّةِ المُواليّةِ له داخلِ الأراضيِ العِراقِيّةِ، أيّ إقليمِ كُردستانِ العِراقِ.

محمود قريشي، وزير خارجيّةِ باكستان، الذي رافَقَ عمران خان أثناءَ زيارته لتركيا، أكّـدَ أنّ بلاده وتُركيا تَقْرِفانِ في خَندِقِ واحدٍ فيما يتعلّقُ بِجَميعِ القضايا الاستراتيجيةّ، وسيَحْرِصانِ على زيادةِ التّـنسيقِ والتّـعاونِ بينهما في المَجالاتِ كافّةً، وخاصّةً التّـبادُلِ التجاريّ حيثُ تتطلّبُ باكستانُ إلى الاستِثْماراتِ والخُبيراتِ التركيّةِ في مَجالاتِ البُنى التحتيّةِ والصّـناعاتِ العسْكريّةِ (وقّـعتِ باكستانُ صفقةَ طائِراتِ مِروحِيّةٍ مع تركيا بمِقدارِ مِليارِ دولار).

ما يُعزّزُ زِكرَ كلامِ السيدِ قريشي، إصدارُ المَحكمةِ الباكستانيّةِ العُليا قَرارًا باعتبارِ حركةِ "الخِدمة" التي يتزعمّها الداعيةُ التركيّةُ فتح الـ غولن "حركة إرهابيّة"، وحَطْرُ جميعِ أنشِطَتِها في باكستانِ وتَسليمِ مَدارسِها إلى الحُكومةِ التركيّةِ.

حَربُ التّـنافُوسِ على باكستانِ بين تركيا والسعوديّةِ تَبْلُغُ ذَروتها هذه الأيَّامَ، ومِنِ الواضِحِ أنّ الرئِيسَ أردوغانَ الذي يَحظى بِدَعَمِ قطريّ وإيرانيّ وعِراقيّ باتَ مُتَقَدِّمًا بِمَراحِلِ فيها، ويُرِيدُ تطويقَ المَـحورِ السعُوديّ المِصريّ الإماراتيّ بِحِزامِ إسلاميٍّ سَنّيٍّ مُضادٍّ، ويَبدو أنّهُ يَحَقِّقُ نَـجَاحًا مُضَـطّـرِدًا في هذا المِضمارِ، وهذا ما يُفَسِّرُ الانفِتاحَ المُتسارعَ مِن قِبَلِ السعوديّةِ والإماراتِ نَحوِ سورِيّةِ، وطَلَبِ الأُولى مِنَ المُعارِضةِ السورِيّةِ التي تتواجَدُ في مَقَرّاتِ رسميّةٍ على أرضِها رَفُوعَ العَلَمِ السورِيّ الرسميّ على هَذِهِ المَقَرّاتِ، وإلا الرّـحيلَ فَوْرًا.

السيدِ عمران خان، زعيمِ باكستانِ طامُوحٍ، ويتَمَتّعُ بِدَرجةٍ عاليةٍ مِنَ الذّـكاءِ، وهو الذّـكاءُ المَدعومُ بِدَرجةٍ جامعيّةٍ عاليةٍ مِنَ جامِعةِ أكسفورد، ونَقَلَهُ مِنَ لَعبِ كريكيتِ إلى أعلى منصبِ سياسيٍّ في بلاده، ولذلكِ يَنطَلِقُ مِنَ مِصالحِ بلاده وطُـمُوحاتِها في احتِلالِ مكانتها كدولةٍ عَظْمَى نَوويّةٍ وَجيدةٍ في العالمِ الإسلاميّ، وهذا ما يُفَسِّرُ مِشاركتَهُ في قِـمّةِ دافوسِ الصّـحراءِ للاستِثمارِ في السعوديّةِ قبلَ شهرٍ مُسْتَغرٍ لِحاجَةِ السعوديّةِ إلى وجودِ شخصيّاتٍ عاليةٍ فيه بعدَ مُقاطِعةِ الغَربِ بسببِ اعتِرافِها بِإرسالِ "فريقِ المَوتِ" لاغتِيالِ خاشقجي، وعودتهِ إلى بلادهِ بِستّةِ مِلياراتِ دولارٍ كِمُساعداتٍ ماليّةٍ، ودُونَ أنّهُ يُقَدِّمُ أيّ تَنَازُلٍ سياسيٍّ، مُضافًا إلى ذلكِ أنّ عِلاقتهِ معَ أمريكا تَعيشُ حالَةً مِنَ التدهورِ بعدَ أنّهُ أوقَفَتِ الأخيرةُ جميعَ مُساعَداتِها تَقْرِيبًا، وباتَ يَبْـحَثُ عَنِ البَدِيلِ.

هُناكَ سَؤالٌ مِنَ شَقّينِ يَطُرحُ نَفْسَهُ في طَـلِ مُتَابِعةِ هَذِهِ الخُطواتِ والتّـحالِفاتِ التي يُقيمها الرئِيسُ أردوغانُ، وما يُمكنُ أنّهُ يَتَرَتَّبُ عليها مِنَ تَبِيعاتِ ورُودِ فِعَلٍ مُتَوَقَّعةٍ:

الأوّلُ: إلى متى سَيستمرُّ أردوغانُ في اللّـفِّ والدّـورانِ حولِ دِمَشقِ، وتجاوزها في كُـلِّ هَذِهِ التّـحَرّكاتِ، وهو الذي يُقيمُ عِلاقاتٍ استراتيجيّةٍ مَعَ حُلَفائِها الإيرانيينِ والرّوسِ، والآنِ

العراقيين.

الثاني: هل ستطعم مئتين السُّلطات السورية لهذا التَّقارب السعودي الإماراتي الوَشيك، وتَقِفُ في خندق خَمَمَها السَّابِقَيْنِ في مُواجهَة تركيا عَدُوَّها اللِّدود وحَليفه القَطري؟ تَطوُّ رُبات شِمال سورية، وبالتَّحديد من مَنطَقة إدلب وريفها، وما يَجري فيها من معارك بين هيئة تحرير الشام (النصرة)، وحركة نور الدين زنكي، وموقف تركيا منها، إلى جانب تَطوُّ رُبات شَرْق الفُرَات، ربَّما تُعطي بعض الإجابات في هذا المِضمار، فمن الواضح أن هُنَاكَ مُخَطَّط لَجَر تركيا إلى صِدامٍ عَسكريٍّ مَعَ وِحدات الجيش العربيِّ السوري المُتأهِّبَة في المَنطَقة، وهذا ما لا نَتَمَنِّاه ونأمل تَجاوزُه.

لا نَسْتَعِيدُ أنْ يَكُون الرئيس أردوغان يَحْتَفِظُ بِوَرَقَةِ الانْفِتاحِ على دِمَشقِ حتَّى اللَّحظة الأخيرة، خاصَّةً أنَّهُ يُدْرِكُ جَيِّدًا أنَّ إيران، وبعْدَ الانسحاب الأمريكيِّ، باتت في مَوقِعِ المُنتَصِرِ على الأرضِ السوريَّة، وأنَّ حليفه الروسيِّ باتَ يَمْلِكُ اليَدَ العُلَيَا، ليسَ في سورية فقط، وإنَّما في المَنطَقة الشَّرْقِ أوسَطِيَّة برُمَّتِها.

لا نَعْتَقِدُ أنَّ السوريِّين سيَطْمَئِنون للغزْلِ السعوديِّ الجَدِيدِ بَعْدَ مُعاناةِهم طِوالِ السَّنِواتِ الثَّمانِي الماضِيَّةِ من تَدَخُّلاتِ أصحابِه عَسْكَريًِّا في شُؤونهم الداخليَّة، ولا نَسْتَعِيدُ أنْ يُدْرِكُ الرئيس أردوغان أنَّ الجَبِيهَة السوريَّة يُمكن أن تَكُونُ أَحَدَ أَهَمِّ مَراكِزِ التَّهْدِيدِ لِأَمْنِ بلاده واستقرارها إذا لم يتَحَرَّكَ سَريعًا نحو دِمَشقِ مُلَوِّحًا بِأموالِ حَليفه القَطريِّ، ودَوْرها في إعادةِ الإعمار، وعَلَّامَتنا تَجارِبُ الأعوامِ الماضِيَّةِ أنَّ كُُلَّ الاحتمالاتِ وارِدَة في مَنطَقة الشَّرْقِ الأوسَطِ الأَكْثَرِ تَغْيِيرًا في خَرَائِطِ تَحالُفاتها في العالمِ بأسْرِهِ.

الدَّهَاءُ السوريِّ يَقِفُ حَالِيًا في بُرْجِ الانْتِظارِ مُراقِبًا ومُتَابِعًا، وَيَفْرُكُ يَدِيه فَرَحًا في طَلِّ هَرَوْلَةِ الكَثِيرين نَحْوهِ طالِبين ودِّه، مُبْذِقِيًا جَمِيعَ أوراقيهِ قَرِيبَةً إلى صَدْرِهِ، وسيَخْتارُ في نِهايَةِ المَطافِ ما يَخْدُمُ مَصالِحِهِ وإعادةِ إعمارِ بلاده، ولكن هذا لا يَعْني النِّسْيان.

إنَّها مَرِحَلَةٌ كَظَمُ الغَيْطِ لا أَكْثَرُ ولا أَقَلُّ. وإِذْ أَعْلَمُ.